

خالد بن الوليد داهية العرب في دنيا الكر والفر

أوضح الداعية الشيخ محمد حسان في عرضه لسيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه أن خالد كان فارس فريش، وصاحب أعنة الخيل فيها، وكان داهية العرب كافة في دنيا الكر والفر على الإطلاق، والذي يستقبل عالما جديدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع أصحابه من المسلمين في المدينة المنورة بعد أسلامه.

مؤتة أولى الحروب

ويؤكد الشيخ أن خالد وبعد شهرين أو ثلاثة فقط من أسلامه ينطلق جندياً في صفوف كتائب التوحيد والإيمان، مع هذا الجيش الذي ذهب لمناطحة الصخور الصماء على حدود الشام في غزوة مؤتة، تلك الغزوة التي خرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ليختار لها القادة، فقال كما ورد في صحيح البخاري في كتاب المغازي من حديث عبد الله بن عمر قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي غزوة مؤتة زيد بن حارثة، ثم قال عليه الصلاة والسلام: إن قتل زيد جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه الصلاة والسلام: إن قتل جعفر فبعد الله بن ربيعة»، وانطلق الجيش الذي لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل.

ولما وصل الجيش إلى حدود الشام انهلتهم المفاجأة الكبرى، فلفد راوا الروم قد أعدوا لهم وجهزوا جيشا جرارا يزيد على مئة ألف مقاتل، وهنا ترد المسلمون في القتال! كيف يدخلون هذه المعركة التي لا يمكن على الإطلاق أن نرى فيها ثرة من ذرات التفاف العودي والغددي، وتريد الناس في القتال، مئة ألف إلى ثلاثة آلاف! وهنا قام الشهيد الشاعر صاحب السرير الذهبي: عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه ووقف في صفوف الجيش مناديا بأعلى صوته وهو يقول: «يا قوم! إن التي تخشون لثتي خرجتم تطلبون، إنها الشهادة في سبيل الله، والله ما نقاتل عدونا بكثرة ولا عدد، وإنما نقاتل عدونا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله عز وجل، فانطلقوا، فإنها إحدى الحسنيين: إما النصر أو الشهادة».

وانطلق الناس للقتال، انطلق ثلاثة آلاف لقتال مئة ألف مقاتل، وتولى القيادة زيد بن حارثة وقاتل حتى قتل وسقط اللواء، فانقض إليه سرعا جعفر بن أبي طالب وقاتل حتى سقط اللواء وسقط بعد طيار الشهداء، فانقض على اللواء عبدالله بن رواحة ورفع اللواء وقاتل حتى قتل وسقط اللواء، وبوب الرعب والذعر في قلوب المسلمين، لاسيما بعد قتل القادة الثلاثة الذين حددهم واختارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنا انقض بسيرة الضوء نابت بن أرقم رضي الله عنه على اللواء ليرفع اللواء خفافا عاليا، وأسرع نابت بن أرقم ليبحث عن قائد الساعة ويطل الميدان عن أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه، وذهب إليه نابت وقال: خذ اللواء يا خالد، فقال خالد المؤدب المهذب: لا.

وأي أن يتقدم هؤلاء الذين فيه السابِقون من المهاجرين والانتصار، وقال خالد المهذب لنابت بن أرقم: «أنت أولى به مني يا نابت فانت من السابِِقين الأولين، ممن شهدوا بدر، لست أحق بهذا اللواء منك، فقال نابت بن أرقم: خذ اللواء يا خالد والله أنت أدرى بالقتال مني، وما أخذت اللواء من على الأرض إلا لك يا أبا سليمان».

العبقري يعطي جواده

ونادي نابت بن أرقم في المسلمين بأعلى صوته وقال: «أيها المسلمون! هل ترضون امرأة خالد؟ قالوا: اللهم نعم، واعطى العبقري جواده بعد أن تحدد مصير المعركة بكل القاييس، وبوب الذعر والرعب، ومات فواد المعركة الثلاثة، وإن شئت فقل: لقد انتهت المعركة، واعطى العبقري جواده، ودفع الراية عن يمينه كأنما يلوح بها أيوأيا مخفلة قد أن لها أن تفتح بإذن الله على يد هذا البطل المغوار.

ونظر العبقري نظرة سريعة إلى أرض الميدان بعينين كعينَي الصقر، وأعاد تنظيم الصفوف، وشب خالد في هذا اليوم ثبوت الجناب الرواسي، حتى خيم الليل بظلامه، وهنا ظهرت عبقريته خالد، وظهر دهاؤه وبلاؤه وقلقه الذي قال عن نفسه: «والله لقد انكبت في يدي تسعة سيوف في يوم مؤتة»، والحديث رواه البخاري، تسعة سيوف تحففت في يد سيف الله، وأسد الله خالد بن الوليد رضي الله عنه.

نظر خالد بن الوليد وفي ظلام الليل وفي سرعة البرق والضوء وعدل صفوف الجيش، فجعل اليمين مكان اليسرة، وجعل اليسرة مكان اليمين، وجعل الساقة في المقدمة وآخر المقدمة إلى الساقة، وكلف طائفة من الجنود أن يتاخروا خلف الجيش، وعند مطلع الصباح أفرمهم أن يلبثوا غيارا، وأن يدخلوا صوتا وصياحا وجلبة وضوضاء.

وفي الصباح الباكر بعدما برح الفجر، وجدت كتائب الروم وجوهاً غير

تنتظر خالد بن الوليد، فالتفت كالتحاربها بالأسـفـ وراث إعلاما جديدة، ونظرت فوجدت غيارا، وسمعت صيحة وضوتا وجلبة وضجيجا، فطلت الروم أن عددا جديدا قد أقبل إلى جيوش المسلمين، فذب الرعب في قلوبهم، وبدأوا في الانسحاب المذهل المروع، واستطاع خالد بذكائه وعبقريته أن يفتح ثغرة فسحة في قلب هذا الجيش العرهم الكبير الرهيب، وانسحب جيشه انسحابا أمعا دون أن يصاب الجيش بأي أذى.

وبلغت البشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معن يعلم السر والخي، فلفد وقف الحبيب في

المدينة المنورة بخص على المسلمين خير غزوة مؤتة قبل أن يبلغه الخبر، فلفد أخبره علام الغيوب جل جلاله كما ورد في صحيح البخاري من حديث أنس : «وقف النبي صلى الله عليه وسلم يعني للناس قادة غزوة مؤتة وعيناه تترقان بأبى هو وأبى صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: لقد أخذ الرباة زيد بن حارثة فاصيب، ثم أخذ الراية جعفر فاصيب، ثم أخذ الراية ابن رواحة فاصيب، وعيناه تترقان لم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله فلفح الله عليهم»، وانظروا إلى هذه العبارة النبوية، سمى النبي انتصار خالد فتحا، وأي نصر؟ وأي فتح؟ ولما خرج المسلمون ليقولن لهم: يا أفرار قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تقولوا هذا ولكنكم الكرار وليسوا الكرار» سمى النبي انتصار خالد فتحا«حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله»، فلكم هو الوسام الذي عاد خالد إلى المدينة ليعلفه النبي على صدره، والله إنه وسام لا تقوم له الدنيا، ومن يومها احبتي سمى خالد بن الوليد بسيف الله المسلم.

ولم تنض إلا أشهر معدودات حتى تقدم النبي في جيشه الكبير الجرار لفتح مكة، وتولى النبي خالد بن الوليد وحجته قائد المسلمين، وما هو خالد يدخل إلى مكة المكرمة قائدا من فواد جيش التوحيد، بعد أن كان بالإسـ الغربى قائدا من فواد جيش الشرك.

خالد في حروب الردة

عات الحبيب صلى الله عليه وسلم، وتولى الصديق خليفة المسلمين، وتهيأ أعاصير الردة الغادرة الماكدة، وجيش الصديق الجيوش، وبدفع الأولية للأمراء والقادة، ومن بين هؤلاء الأمراء والقادة جميعا يتجه الصديق العبقري الذي إلى قائد الساعة، ويطل الميدان، إلى سيف الله خالد ويولع له الصديق: «يا خالد! لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نعم عبد الله وأخو العشرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين، والحديث رواه أحمد، وقال الإمام الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح».

وينطلق خالد بن الوليد ليشهد جميع معارك الردة من أولها إلى آخرها، وكانت أخطر معركة في هذه المعارك هي: معركة اليمامة بقيام الدعي القتاب مسلمة، الذي نجح في أن يجيش جيوشا جرارة حتى هزم عكرمة بن أبي جهل هزيمة مؤثرة، وصادر الصديق رضي الله عنه الأوامر إلى قائده المنخرط خالد بن الوليد، أن ينطلق سرعا لقتال مسلمة.

ويتحرك خالد بن الوليد بجيشه ليلتقي مع أخويه عكرمة بن أبي جهل،



عزّمة خالدية، وثقة مفردة لا يفوق عليها إلا خالد.

وسقطت إمبراطورية الروم

ويستطرد الشيخ حسان قائلا:كان الصديق رضي الله عنه بعدما انتهت معارك فارس قد جيش الجيوش إلى بلاد الشام للقضاء على أعظم إمبراطورية في الغرب، ألا وهي إمبراطورية الروم، وقد اختار الصديق لهذه الجيوش قادة عظاما، اختار أبو عبيدة بن الجراح، وعمر بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وجعل الصديق القيادة العامة لجيوش الشام في يد أبي عبيدة رضي الله عنه، ولما وصلت الجيوش إلى بلاد الشام، وسع هرقل إمبراطور الروم يده الجيوش قال قوته المشهورة، والله لأشقين أبا بكر إلا يوم خيله إلى أرضنا مرة أخرى، وجيش هذا الرجل جيشا لا مثيل له، جيش جيشا يزيد على مئتين وأربعين ألف مقاتل، ولما رأى قادة الجيوش المسلمة هذا الجمع الرهيب، أرسلوا إلى أبي بكر يخبروه بالصورة الجديدة والوقوف الجديد، أتدرون ماذا قال الصديق رضي الله عنه؟ قال: والله لأشقين وسأوس الروم بـ خالد بن الوليد، وأصدر الصديق الأوامر إلى قائده المنظر أن يتقل من العراق من أقصى المشرق فورا إلى بلاد الشام إلى أقصى المغرب فورا، وفي أربعة أيام يا عباد الله من طريق وعبر مدهلا، استطاع خالد بن الوليد أن تكون على جبهة الشام، وأرسل الصديق في ذلك رسالة إلى قائده البطل خالد بن الوليد، وكانت تحتوي على كلمات غلبة ورفقة، ومما كان في هذه الرسالة أن الصديق قال له: هنيئا لك يا سليمان النبأ والحظوة، لا يدخلك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تمّن بعمل، فإن الله هو صاحب المن وهو ولي الجزء»، وأمره أن ينطلق مسرعا إلى أخواته من القادة في بلاد الشام، وأن يتولى خالد القيادة العامة على أبي عبيدة وأخواته من القادة، وأرسل الصديق رسالة مماثلة إلى قائد الجيوش في الشام إلى أبي عبيدة يقول فيها: بسم الله الرحمن الرحيم «من أي بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام الله عليك أما بعد: فلفد أمرت خالد قيادة الجيوش في بلاد الشام، فلا تخلفه يا أبا عبيدة، وأسرع له وأطع، وإنني لم أبعده عليك إلا لأني ظننت أن له فيطلة في الحرب ليست لله، وإن كنت عندي أحب إليك، أراء الله بنا وليد خيرا والسلام».

ويضيف الشيخ حسان أن ما وصلت الرسالة إلى خالد وكلف فيها من خليفة رسول الله بالمقيادة العامة، انظروا إلى الأدب والإخلاص، أرسل خالد بن الوليد رسالة إلى الغور إلى قائد الجيوش في الشام، إلى أخيه أبن هذه الأمة: أبي عبيدة بن الجراح وقال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام الله عليك أما بعد: فلفد جاءني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأمرتي فيه بالسر إلى بلاد الشام والقضاء على جنداه والتولي لأمرها، والله ما طلبت ذلك يا أبا عبيدة وما أردته، فأنت على حالك التي كنت عليها قبل ذلك لا تخالفك يا أبا عبيدة وسمع لك ونطيع، فأنت سيد المسلمين، ولا يمكن أن ننسى فضلك ولا نسئفني عن أمرك».

ويعلق الشيخ محمد قائلا: هذه هي القلوب التي تجردت لله، التي لا تبحث عن الزعامه، ولا تريد الصدارة، ولا القيادة، ولو كان على حساب دين الله جل وعلا، لا فرق عند خالد الذي رباه سيد النبيين محمد أن يكون جنديا مطيعا بعد أن كان قائدا مطاعا، أو أن يكون قائدا مطاعا بعد أن كان جنديا مطيعا، مادامت راية التوحيد تستظل خفاقة عالية تعانق كوكب الحوزاء في عنان السماء.

ووصل خالد بن الوليد إلى أخواته، والنقت الجيوش المسلمة، وقيل بدء القتال ولفد سيف الله يخطب هذه الخطبة العصماء، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه لأخواته من القادة والجنـد: «إن هذا يومٌ من أيام الله، لا ينبغي فيه اليقي ولا القصر، وإن هذا اليوم له ما بعده، فإن ردتناهم اليوم لا نزال

العدد 3530 - السنة الثانية عشرة

الثلاثاء 29 ربيع الأول 1441 - الموافق 26 نوفمبر 2019
Tuesday 26 November 2019 - No.3530 - 12 th Year

تردهم بعد اليوم، وإن هزمونا اليوم لن نلقح بعدها أبداً—ثم قال:—فقتلوا بنا متعاور—أي: تتبادل القيادة—فكيف أحداثا اليوم قائدا، ولكن بعد اليوم أحداثا قائدا—ثم نظر إليهم خالد—وقال: وأطلب منكم أن تترعوا لي الإمارة في اليوم الأول».

تنازل القادة

وتنازل القادة بيمتتئى الحب والرضا للقيادة لأخيهم سيف الله السلول وفارس الإسلام والمسلمين لخالد بن الوليد رضي الله عنه، وعاد البطل ينظم صفوف الجيش بطريقته الخالدية التي لا تقدر لها في عالم الميادين، وفي عالم القيادة وفن الحروب، وتنظم البطل صفوف جيشه، ورسم المسلمون في هذه الموقعة موقعة البرموك صورا من البطولة والأفداء تبهر القلوب وتأخذ الأنباب، فهذا رجل جشدي في الصفوف يقتر من أبي عبيدة بن الجراح وينادي عليه في هذه الضجة وفي هذا الضجيج تحت رثين السيوف، ووقع الرماح وصهيل الخيول: «يا أبا عبيدة! وليفقت إليه أبو عبيدة: ماذا تريد؟ فيقول له هذا المسلم الثقي: لقد عزمت على الشهادة فهل لك من حاجة أبلغها لرسول الله حين الفاء، فقال أبو عبيدة: نعم، إذا لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له: يا رسول الله! لقد وجدت ما وعدنا ربنا حقا—في وسط هذه الموقعة! لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا».

وينادي عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ويقول لنفسه: «والله لاطلنا قاتلت رسول الله قبل أن يشرح الله صبري للإسلام، وهنا اليوم أفر من الميدان أمام أعداء الله، فينادي بأعلى صوته: يا أصحاب محمد! من يبايع اليوم على الموت؟» ويبايعه كوكبة من الأبرار الأبطال الأخيار، ويدخلون في صفوف المعركة لا يبحثون عن النصر إنما يبحثون عن الشهادة، إنهم أبناء محمد بن عبد الله، إنهم تلاميذ المصطفى صلى الله عليه وسلم الذين عرفوا حقيقة الدنيا، وشرقت الجهاد في سبيل الله، وبهذه القلوب، وبهؤلاء الرجال أعز الله دينه، وأعلى الله رايته توحيد، وأعز الله رسوله صلى الله عليه وسلم، ولن تكون العزة ولا النصرة إلا بهذه القلوب، وعلى هذه الأيدي الطاهرة، وبهؤلاء الرجال الأبطال الأبرار الأخيار.

وانتهت المعركة أيها الأحباب: وفي وسط هذه الانتصارات المذهلة، وإذ بالصديق رضي الله عنه يودع الدنيا أننا راضيا مطمئنا ليلقى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بعدما أدى الأمانة التي كلف بها، وهنا يتولى عمر الفاروق رضي الله عنه لشئ مرة أخرى انتصارا أعظم من جميع الانتصارات، مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

تحتية خالد من قيادة الجيوش

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا أيها الأخيأ! تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه، وإذ بعمر يرسل على الفور كتابا يهني فيه المسلمين بهذا النصر على أرض الميدان، ويهني إليهم وفاء أبي بكر رضي الله عنه، ويخبرهم بخلافته، ويأمر الله أبي عبيدة بن الجراح أن يتولى القيادة من جديد وأن ينيي خالدًا رضي الله عنه.

وقيل: إن الرسالة وصلت إلى خالد فأخافها خالد بن الوليد حتى انتهت المعركة، وبعد انتهاء المعركة ذهب إلى أبي عبيدة ليؤدي إليه تحية الجندي إلى قائده.

وقيل أن الذي أخفى الرسالة أبو عبيدة حتى تنتهي المعركة، وبعد المعركة أخبر خالد بن الوليد، ثم رأى انتصارا هو من وجهة نظري أعظم انتصار لخالد بن الوليد مع كل هذه الانتصارات المذهلة التي حققها، ويتنازل خالد بيمتتئى الإخلاص والحب عن القيادة التي سطر روعتها وانتصاراتها وعظمتها بيديه، ينتازل لأخيه الأمين أبي عبيدة بن الجراح، فليست العبرة من هو القائد، ولكن القضية أن تظل راية التوحيد خفاقة عالية، سواء أرفعها أبو عبيدة أو خالد أو عمرو أو شرجيل، المهم أن تظل الراية عالية.

والنقاء، فإنهم لا يبحثون عن زعامه، ولا يريدون صدارة، ولا يريدون قيادة، المهم أن يظل في الميدان يعمل لخلاص له، سواء كان قائدا مطاعا أو جنديا مطيعا، والله أن تكون الصلابة إلا بهذه القلوب المتجردة، إلا إذا صلت قلوبنا وتجردت أعماقنا لله جل وعلا.

وهكذا «أيها الأحباب» يرجع خالد بن الوليد بعد تحتيته عن القيادة بأمر عمر.

وإن أبين أصرا شحنت به

كتب التاريخ المزروعة، وقد أسـء

القلن بعمر رضي الله عنه، فترى

في كتب التاريخ من يقول: إن عمر

قد عزل خالدًا رضي الله عنهم

لضعفـة في نفس عمر على خالد،

أو لحقد قديم بين عمر و خالد، أو

لنفسه خالد«لنعر، وهذا كله كذب

وافتراء وباطل، وشتان أن تكون

هذه القلوب الصافية المتجردة بهذا

القلن وبهذا العيش، ويقتي أن

نعلم أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد قال في حق عمر : «لقد

أجرى الله الحق على لسانه وأبى

والله لقد كان عمر صريحا واضحا

في اليمامة ظهر

خالد في الميدان

ونقل إخلاصه

وحماسه إلى قلوب

جنوده فكان النصر

كأنسيف الصارم البتار حينما عزل خالدًا رضي الله عنه، وأعلن ذلك على الملأ بقوله: «أيها الناس! إنني لم أعزل خالدًا عن سخط ولا عن خيانه، ولكني رأيت الناس قد فتنوا به، ووكلا إليه، فخشيت أن يؤكثوا إليه، فأرادت أن أعلمهم أن الصانع هو الله جل وعلا، ليس النصر من عند خالد، انظروا إلى قلب عمر الذي تجرد وأرض فيه مصباح التوحيد: «فأرادت أن أعلمهم أن الصانع هو الله، ليس النصر من عند خالد ولا بيد خالد : «وما أنصُر إلا من عند الله» [آل عمران:126].]

هذه عبقريه عمر الفاروق، وهذا صدق عمر، وهذا توحيد عمر الذي رأى الناس يذهبون إلى الشجرة التي أخذ تحتها بيعة الرضوان، ورأى أناس يذهبون إليها ويتسبحون بها، فخشي عمر بن الخطاب أن يصل الأمر إلى حد الشرك فأجتاحها من جذورها، ولم سئل عن ذلك قال: «خشيت أن يتكل الناس على ويسبون الله جل وعلا، فلكم هو عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه

وفاة خالد بن الوليد

وهكذا أيها الأحباب: ينাম سيف الله المسلمول على فراش الموت بعد كل هذه المعارك والشاهد والمواقع والغزوات، ينام على فراش موته في بيته وداره، وتنسكب الدموع غزيرة على وجنتيه وهو يتكوى ويتالم بعد كل هذه اللواعق والغزوات على خالد تمام على فراش موته في دارك وفي بيتك، فيبكي خالد بن الوليد رضي الله عنه ويقول: «لقد شهدت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو رمية يسهم أو طلعة برمح، وهانذا موت على فراشي حشف أنقي كما يموت البعير، فلا نامت عين الجنائـ».

أيـه يا بطل، أيـه يا بطل الأبطال، أيـه يا فجر كل ليل، هانت ذا قد اتهمت سسرا، هانت ذا قد اتهمت كفاحك، هانت ذا قد اتهمت روعتك، هانت ذا قد اتهمت جهارك، فلذلك المجد يا أبا سليمان، وليسرتك الخلد يا خالد، ودعنا نرد مع فاروق الأمة عمر الذي نباحث ودموعه تنسكب على وجنتيه غزيرة، نعاك بهذه الكلمات الطيبات الناعمة وهو يقول: «رحم الله أبا سليمان ما عد الله خير له مما كان فيه، لقد عاش حبيدا، ولقي الله سعيدا» رضي الله عن خالد، وصلى الله وسلم وبارك على استأذنه ومعلمه.

والنهي الشيخ كطامته قائلا: ادعوا الله جل وعلا أن يجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته، وأن يفيض لامة التوحيد قللنا ربانيًا بغيرها بكتاب الله ويدين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو على كل شيء قدير.

